International Journal of Arabic, Linguistic and Literature

Jurnal iJALAL
Pusat Pendidikan ICESCO di Malaysia
E-ISSSN: 3083-8622
2026, Bilangan 3, Isu 1, Halaman 81-99

إعادة تشكيل الرثاء الجاهلي: قراءة سيميائية تأويلية في بنية العاطفة والرمز في قصيدة دريد بن الصمة

RECONSTRUCTING PRE-ISLAMIC ELEGY: A SEMIOTIC-HERMENEUTIC ANALYSIS OF EMOTIONAL STRUCTURE AND SYMBOLISM IN DURAYD IBN AL-ṢIMMAH'S POEM

Ahmad Redzaudin bin Ghazali,[1*] Mohamad Rofian bin Ismail,[2] Khairatul Akmar bin Ab Latif,[3] Md Noor Huisin[4]

[1] Pensyarah, Universiti Islam Selangor (UIS), Malaysia, redzaudin@uis.edu.my
[2] Pensyarah Kanan, Universiti Teknologi MARA (UiTM), Malaysia, mohdrofian@gmail.com
[3] Pensyarah Kanan, Universiti Islam Selangor (UIS), Malaysia, khairatulakmar@uis.edu.my
[4] Pensyarah Kanan, Universiti Islam Selangor (UIS), Malaysia, mdnoor@uis.edu.my

* Penulis Penghubung

Artikel diterima: 27 Apr 2026 | *Selepas Pembetulan: 13 Mei 2026* | *Diterima untuk terbit: 19 Mei 2026*

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى إعادة قراءة رثائية دريد بن الصمة من خلال مقاربة تحليلية تجمع بين السيميائيات والتأويل، وذلك للكشف عن العلاقة بين البنية الشعرية وديناميكية العاطفة في النص. تنطلق الدراسة من إشكالية تتمثل في توظيف النسيب في سياق رثائي، وهو ما يطرح تساؤلات حول مرونة البنية التقليدية للقصيدة الجاهلية ووظيفتها الدلالية. تعتمد الدراسة منهجاً نوعياً قائماً على تحليل النص، مستندة إلى التصور السيميائي عند Charles Sanders Peirce ونظرية القراءة التأويلية عند Michael Riffaterre، بهدف تفكيك مستويات المعنى الظاهرة

والعميقة في القصيدة. وقد أظهرت النتائج أن النص يقوم على نظام دلالي مركب تتداخل فيه الأيقونة والمؤشر والرمز، ضمن بنية ديناميكية تعكس تطور التجربة الشعورية للشاعر. كما كشفت الدراسة أن القصيدة تنتظم حول مصفوفة دلالية مركزية تتمثل في "تجربة الفقد"، التي تتجلى في مستويات متعددة، تشمل البعد العاطفي والاجتماعي والوجودي. ويُعاد من خلالها توظيف العناصر التقليدية، مثل النسيب والثأر، لتؤدي وظائف دلالية جديدة تتجاوز حدودها المألوفة. وتخلص الدراسة إلى أن رثائية دريد بن الصمة تمثل نموذجاً متقدماً في الشعر الجاهلي، حيث تتكامل البنية الشعرية مع النظام الثقافي لإنتاج معنى متعدد الطبقات، يجمع بين التجربة الفردية والذاكرة الجماعية ضمن إطار رمزي معقد.

الكلمات الافتتاحية

دريد بن الصمة، الرثاء الجاهلي، السيميائيات، البنية الشعرية، ديناميكية العاطفة.

Abstract

This study aims to reinterpret the elegiac poem of Durayd ibn al-Ṣimmah through an integrated analytical framework that combines semiotics and hermeneutics, in order to examine the relationship between poetic structure and the dynamics of emotion. The study is grounded in a central problem concerning the use of the nasīb (amatory prelude) within an elegiac context, raising questions about the flexibility of the conventional structure of the pre-Islamic qaṣīdah and its semantic functions. Adopting a qualitative textual analysis approach, the study draws on the semiotic model of Charles Sanders Peirce and the interpretive theory of Michael Riffaterre to explore both the surface and deep structures of meaning in the poem. The findings reveal that the text operates as a complex semiotic system in which icon, index, and symbol interact within a dynamic structure that reflects the evolution of the poet's emotional experience. Furthermore, the study demonstrates that the poem is organized around a central semantic matrix of "loss," which manifests across emotional, social, and existential dimensions. Traditional elements such as the nasīb and revenge are thus reconfigured to perform new semantic functions that transcend their conventional roles. The study concludes that Durayd's elegy represents an advanced model of pre-Islamic poetry in which poetic structure and cultural systems are intricately intertwined, producing multilayered meanings that integrate individual experience with collective memory within a complex symbolic framework.

Keywords

Durayd ibn al-Ṣimmah; Pre-Islamic poetry; Semiotic analysis; Hermeneutic reading; Qaṣīdah poetics; Emotional structure; Symbolic system

١ .المقدمة

١,١ السياق الأدبي الجاهلي

يُعدّ الشعر الوسيلة التعبيرية الأبرز في المجتمع العربي الجاهلي، إذ لم يكن مجرد أداة جمالية، بل شكّل نظاماً معرفياً وثقافياً يوثق التحولات الاجتماعية والسياسية ويعكس منظومة القيم السائدة داخل البنية القبلية. وفي هذا الإطار، برزت القصيدة العربية بوصفها الشكل الشعري المهيمن، حيث تقوم على بناء تقليدي يتألف من وحدات أساسية مثل النسيب والرحيل والفخر أو الحماسة.(Ibn Rashīq al-Qayrawānī, 1981)

ولا تمثل هذه البنية مجرد ترتيب شكلي، بل تعكس تصوراً ثقافياً للعالم يقوم على ترابط التجربة الفردية مع الجماعة والبيئة. ومن بين الأغراض الشعرية التي حظيت بمكانة بارزة في هذا السياق، يبرز الرثاء بوصفه خطاباً يجمع بين التعبير العاطفي والوظيفة الاجتماعية، إذ يسهم في تخليد ذكرى الميت وتعزيز التماسك القبلي وإعادة إنتاج القيم الجمعية مثل الشجاعة والوفاء والثأر (Abū al-Faraj al-Iṣfahānī, 2008؛ Ibn Qutaybah, 1952)

وعليه، يمكن النظر إلى شعر الرثاء الجاهلي باعتباره فضاءً تتقاطع فيه التجربة الذاتية مع البنية الاجتماعية، حيث يتحول الحزن الفردي إلى خطاب جماعي يعكس هوية القبيلة وذاكرتها.

١,٢ دريد بن الصمة: الشاعر والفارس

يُعد دريد بن الصمة من أبرز شعراء الجاهلية الذين جمعوا بين الفروسية والشعر، إذ تمثل تجربته نموذجاً للشاعر–المحارب الذي تتداخل في إنتاجه الشعري الخبرة القتالية مع الحس الجمالي. وقد حظي دريد بتقدير واسع في المصادر التراثية، حيث صنفه النقاد ضمن طبقة الفحول، وأكدوا تميزه في الجمع بين القوة التعبيرية والتجربة الحياتية
(Ibn Qutaybah, 1952؛ Abū al-Faraj al-Iṣfahānī, 2008).

وتتجلى خصوصية شعره في ارتباطه الوثيق بتجارب الفقد والصراع، وهو ما يظهر بوضوح في رثائيته التي أنشدها بعد مقتل أخيه عبد الله، حيث تتحول التجربة الشخصية إلى خطاب شعري كثيف الدلالة يجمع بين الحزن والتأمل والقيم القبلية.(Duraid ibn al-Ṣimmah, 2004)

١,٣ إشكالية الدراسة

تتمثل الإشكالية الرئيسة في هذه الدراسة في الطبيعة البنيوية الخاصة لقصيدة دريد بن الصمة، إذ تبدأ بالنسيب، وهو ما يُعد خروجاً نسبياً عن المألوف في شعر الرثاء الجاهلي، وقد أثار هذا البناء نقاشاً نقدياً حول مدى ملاءمته لوظيفة الرثاء .(Ibn Rashīq al-Qayrawānī, 1981) وانطلاقاً من ذلك، تسعى الدراسة إلى الإجابة عن سؤال مركزي مفاده: كيف تسهم البنية الداخلية للقصيدة، بما تتضمنه من النسيب والحدث والرثاء وصوت الذات، في إنتاج المعنى الكلي؟ وكيف تتفاعل هذه البنية مع ديناميكية التجربة العاطفية للشاعر؟

وتنبع أهمية هذه الدراسة من سعيها إلى تقديم قراءة تكاملية تتجاوز الطابع الوصفي للدراسات السابقة، من خلال الجمع بين التحليل البنيوي والمقاربة السيميائية والتأويلية، بما يسهم في الكشف عن البنية العميقة للنص بوصفه نظاماً دلالياً مركباً. كما تسهم في إعادة تأطير فهم القصيدة الجاهلية ضمن أفق نقدي حديث يربط بين العلامة والثقافة والتجربة الإنسانية، ويعزز حضورها في الدراسات الأدبية المعاصرة.

٢ .الدراسات السابقة

٢,١ الرؤية النقدية في التراث العربي

تناول النقاد القدامى شعر دريد بن الصمة ضمن سياق تقييمهم للشعر الجاهلي، حيث أشار ابن قتيبة إلى تفوقه في بعض أشعاره حتى على كبار الشعراء، وهو ما يعكس مكانته الفنية العالية .(Ibn Qutaybah, 1952)كما صنفه ابن سلام الجمحي ضمن طبقة الفحول، مؤكداً أن قيمته الشعرية لا تنفصل عن تجربته القتالية وانخراطه في الواقع القبلي.(Ibn Sallām, 2001)

وتكشف هذه الرؤى أن الشعر عند دريد لا يُفهم بوصفه إنتاجاً جمالياً صرفاً، بل باعتباره خطاباً مرتبطاً بوظائف اجتماعية وثقافية، وهو ما يضعه في موقع وسيط بين التعبير الفردي والبنية الجماعية.

٢,٢ إشكالية بنية القصيدة

شكّلت بنية القصيدة، ولا سيما العلاقة بين النسيب والرثاء، محوراً مهماً في النقاش النقدي. فقد ذهب بعض العلماء إلى اعتبار قصيدة دريد حالة فريدة من حيث افتتاحها بالنسيب، في حين رفض آخرون هذا التعميم، مؤكدين وجود نماذج مشابهة.(Ibn Rashīq al-Qayrawānī, 1981)

وفي الدراسات الحديثة، أعيد النظر في بنية القصيدة بوصفها نظاماً رمزياً معقداً، حيث ترى Suzanne Stetkevychأن القصيدة الجاهلية تمثل بنية طقسية تعكس علاقة الإنسان بالعالم (Stetkevych, 1993)، بينما يؤكد Michael Sells على الطابع الأدائي للشعر العربي المبكر، ودوره في إنتاج التأثير العاطفي.(Sells, 1999)

٢,٣ المقاربات الحديثة

تتجه الدراسات الحديثة إلى قراءة القصيدة الجاهلية في ضوء علاقتها بالسياق الثقافي، حيث يُنظر إليها باعتبارها خطاباً رمزياً يعكس منظومة القيم القبلية. وفي هذا السياق، تُفهم رثائية دريد بوصفها نصاً يجمع بين التجربة الشعورية والبنية الثقافية، حيث تتداخل موضوعات الفقد والحرب والموت في بناء دلالي مركب.(al-Bustānī, 2008)

كما أثيرت مسألة الطابع الرمزي لبعض العناصر، مثل شخصية أم معبد، التي قد لا تكون بالضرورة شخصية تاريخية، بل تؤدي وظيفة جمالية تهدف إلى إثارة الانفعال (Stetkevych, 1993؛ Sells, 1999).

٢,٤ الفجوة البحثية

على الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت شعر دريد بن الصمة، فإن معظمها ركز على الجوانب اللغوية أو التاريخية أو الوصفية، في حين لا تزال الدراسات التي تجمع بين التحليل البنيوي وديناميكية العاطفة محدودة.

ومن هنا، تأتي هذه الدراسة لسد هذه الفجوة من خلال تقديم قراءة تكاملية تربط بين البنية الشعرية والتجربة الشعورية، بما يسهم في تعميق فهم القصيدة الجاهلية بوصفها نظاماً دلالياً وثقافياً متكاملاً.

٣ .المنهجية

٣,١ مقاربة الدراسة

تعتمد هذه الدراسة مقاربة نوعية قائمة على تحليل النصوص الأدبية، وذلك بوصفها الأداة الأنسب لاستكشاف البنية الداخلية للقصيدة والكشف عن مستوياتها الدلالية والوجدانية. ويُعدّ هذا المنهج ملائماً لدراسة الشعر الجاهلي، نظراً لطبيعته الرمزية وتركيبه اللغوي المكثف الذي يستدعي قراءة تأويلية تتجاوز المستوى السطحي للنص.(Creswell, 2014)

وتنطلق الدراسة من اعتبار القصيدة خطاباً مركباً يجمع بين البنية الشكلية والتجربة الشعورية، مما يستدعي تحليلاً يراعي التفاعل بين المستويين. كما تأخذ في الحسبان الطابع الأدائي للشعر العربي القديم، حيث لا يُفهم النص بمعزل عن أثره العاطفي ووظيفته في السياق الثقافي.(Sells, 1999)

٣,٢ إطار التحليل

يقوم الإطار التحليلي في هذه الدراسة على تكامل منهجين رئيسين:

أولاً: التحليل الموضوعي(Thematic Analysis)

يُستخدم هذا المنهج لتحديد الموضوعات المركزية في القصيدة، مثل الفقد، والحزن، والولاء القبلي، والثأر، مع تتبع تطورها عبر البنية النصية. ويسمح هذا التحليل بالكشف عن كيفية تشكل المعنى من خلال تكرار الأنماط الدلالية وتداخلها.(Braun & Clarke, 2006)

ثانياً: التحليل البنيوي

يركز هذا التحليل على دراسة تنظيم القصيدة من الداخل، من خلال تفكيكها إلى وحدات كبرى (النسيب، الحدث، الرثاء، صوت الذات)، ثم تحليل العلاقات القائمة بينها. ويستند هذا التوجه إلى التراث النقدي العربي، خاصة في تصور القصيدة بوصفها بنية متماسكة

(Ibn Rashīq al-Qayrawānī, 1981)، مع الإفادة من المقاربات الحديثة التي ترى في القصيدة نظاماً رمزياً وثقافياً.(Stetkevych, 1993)

كما تستلهم الدراسة بعض مبادئ القراءة التكاملية للنص الجاهلي، التي تربط بين البنية اللغوية والسياق الثقافي، كما ورد في دراسات النصوص الشعرية الجاهلية.(al-Qaysī et al., 1990)

٣,٣ مصادر البيانات

تعتمد الدراسة على القصيدة موضوع البحث بوصفها مصدراً أولياً، وذلك بالرجوع إلى ديوان دريد بن الصمة المحقق .(Duraid ibn al-Ṣimmah, 2004) كما تستند إلى مجموعة من المصادر التراثية التي توفر الإطار التاريخي والنقدي، مثل الأغاني والشعر والشعراء

. (Abū al-Faraj al-Iṣfahānī, 2008؛ Ibn Qutaybah, 1952)

أما على المستوى النظري، فتستفيد الدراسة من أعمال حديثة في نقد الشعر الجاهلي، خاصة دراسات Suzanne Stetkevych (1993) و Michael Sells (1999)، التي تقدم قراءة ثقافية ورمزية للقصيدة العربية.

ويتيح هذا التكامل بين المصادر القديمة والحديثة بناء قراءة تحليلية متوازنة تجمع بين الأصالة التراثية والعمق النقدي المعاصر.

٤ .التحليل والمناقشة

٤,١ البنية العامة للقصيدة: نحو نموذج رباعي المحاور

تكشف القراءة التحليلية للقصيدة عن بنية داخلية تتجاوز التقسيم التقليدي للقصيدة الجاهلية (نسيب – رحيل – فخر)، لتتشكل وفق نظام رباعي يقوم على: النسيب، والحدث، والرثاء، وصوت الذات. ولا تمثل هذه المحاور مجرد تقسيمات شكلية، بل تشكل مستويات متداخلة من إنتاج المعنى.

فالقصيدة لا تتحرك في خط سردي مباشر، بل تتطور عبر طبقات دلالية متراكبة، حيث ينتقل النص من الاستهلال العاطفي إلى الحدث، ثم إلى الذروة الرثائية، قبل أن ينتهي بالتأمل الذاتي. وهذا التدرج يعكس ما يمكن تسميته بـ"ديناميكية الانفعال"، حيث يتنامى الشعور بالحزن من مستوى الإيحاء إلى مستوى الانفجار العاطفي.

وتتوافق هذه البنية مع التصورات الحديثة التي ترى القصيدة الجاهلية نسقاً رمزياً يربط بين التجربة الفردية والنظام الثقافي(Stetkevych, 1993) ، مما يجعل من البناء الشعري أداة لإنتاج المعنى، لا مجرد إطار له.

٤,٢ النسيب بوصفه تحويلاً وظيفياً للرثاء

يُعد افتتاح القصيدة بالنسيب من أبرز عناصرها الإشكالية، إذ ينقل هذا الجزء من وظيفته التقليدية المرتبطة بالغزل إلى وظيفة جديدة ذات طابع رثائي. فذكر أم معبد لا يؤدي دوراً وصفياً أو عاطفياً محضاً، بل يفتح أفقاً دلالياً يرتبط بالفقد والانقطاع.

وهنا يمكن الحديث عن تحول وظيفي (Functional Transformation) في بنية النسيب، حيث يصبح أداة تمهيد نفسي للدخول في التجربة الرثائية. فبدلاً من أن يكون تعبيراً عن الحنين العاطفي، يتحول إلى رمز للفقد الشامل، الذي يشمل الحبيبة والأخ معاً.

ومن هذا المنظور، لا يُعد هذا الاستهلال خروجاً عن النسق، بل إعادة توظيف له ضمن سياق جديد. وهو ما يؤكد مرونة البنية الشعرية الجاهلية وقدرتها على التكيف مع التجربة الشعورية (Sells, 1999؛Ibn Rashīq al-Qayrawānī, 1981).

٤,٣ محور الحدث: التوتر بين الفرد والجماعة

يمثل محور الحدث نقطة التحول في القصيدة، حيث ينتقل النص من البعد العاطفي إلى السرد الواقعي. ويتمحور هذا الجزء حول واقعة القتال التي انتهت بمقتل أخ الشاعر، نتيجة تجاهل القبيلة لنصيحته.

ويكشف هذا المقطع عن توتر عميق بين العقل الفردي والقرار الجماعي، حيث يدرك الشاعر خطورة الموقف، لكنه يظل خاضعاً لمنطق القبيلة. ويتجلى هذا التوتر في البيت الشهير:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت

غويت وإن ترشد غزية أرشد

يعكس هذا البيت بنية ذهنية قائمة على الاندماج الكلي في الجماعة، حيث يتم تهميش الذات الفردية لصالح الهوية القبلية. ومن ثم، فإن الحدث لا يُفهم بوصفه مجرد واقعة تاريخية، بل بوصفه تمثيلاً لصراع بنيوي داخل الثقافة الجاهلية بين الفرد والنظام القبلي.(Stetkevych, 1993)

٤,٤ محور الرثاء: بناء النموذج البطولي

يمثل الرثاء القلب الدلالي للقصيدة، حيث يعمل الشاعر على إعادة بناء صورة أخيه بوصفه نموذجاً مثالياً يجسد القيم العربية العليا. ولا يتم ذلك عبر الوصف المباشر فقط، بل من خلال بناء صورة مركبة تجمع بين الشجاعة والحكمة والصبر.

وتبرز هنا تقنية التكثيف القيمي، حيث تتحول شخصية المرثي إلى رمز ثقافي يتجاوز فرديته. فعبد الله لا يُقدم بوصفه أخاً فقط، بل بوصفه تمثيلاً لمجموعة من القيم التي يسعى الشاعر إلى تخليدها.

كما يوظف الشاعر تقنية الزمن، من خلال الانتقال بين الشباب والشيخوخة، لإبراز اكتمال الشخصية، مما يضفي على الفقد بعداً وجودياً، لا مجرد خسارة آنية.

٤,٥ صوت الذات: من الحزن إلى الوعي الوجودي

في هذا المحور، تنتقل القصيدة إلى مستوى أكثر عمقاً، حيث يتحول الرثاء من خطاب موجه إلى الآخر إلى تأمل داخلي في الذات. ويظهر ذلك في اعتراف الشاعر بعجزه أمام الموت، وسعيه إلى التخفيف من وطأة الحزن عبر التبرير الأخلاقي.

ويكشف هذا التحول عن وعي وجودي مبكر، حيث يدرك الشاعر حتمية الموت، ويضع تجربته الشخصية ضمن أفق كوني أوسع. ومن ثم، فإن صوت الذات لا يمثل مجرد خاتمة، بل يشكل ذروة فلسفية للقصيدة.

٤,٦ الثأر بوصفه بنية ثقافية ونفسية

يشكّل الثأر في هذه القصيدة بعداً مركزياً يتجاوز كونه رد فعل عاطفياً إلى كونه بنية ثقافية متجذرة في النظام القيمي للمجتمع العربي الجاهلي. فالثأر لا يُفهم هنا بوصفه اندفاعاً انفعالياً، بل بوصفه آلية لاستعادة التوازن الرمزي داخل الجماعة، حيث يرتبط مفهوم الشرف بالقدرة على الرد والمواجهة.

ويظهر هذا البعد في الخطاب التهديدي الذي يختتم به الشاعر قصيدته، حيث يتحول الحزن إلى طاقة فعلية موجهة نحو المستقبل. ومن هذا المنظور، يمكن اعتبار الثأر شكلاً من أشكال تحويل العاطفة إلى فعل اجتماعي، إذ تنتقل التجربة من الحيز النفسي إلى المجال الجماعي.

كما يعكس هذا التحول ما أشار إليه Stetkevych (1993) من أن القصيدة الجاهلية تؤدي وظيفة طقسية، حيث تُسهم في إعادة إنتاج القيم الجماعية عبر اللغة الشعرية. وعليه، فإن الثأر في القصيدة ليس مجرد موضوع، بل عنصر بنيوي يربط بين الحزن الفردي واستمرارية الجماعة.

٤,٧ اللغة الشعرية: بين الغرابة والتجسيد الحسي

تتسم اللغة في هذه القصيدة بكثافة معجمية واضحة، خصوصاً في المقاطع المتعلقة بالحرب ووصف الخيل، حيث يوظف الشاعر ألفاظاً تنتمي إلى الحقل الدلالي الخاص بالبيئة القتالية.

ويؤدي هذا التوظيف إلى خلق ما يمكن تسميته بالواقعية الحسية المكثفة، حيث تتحول اللغة إلى أداة لتجسيد التجربة لا مجرد وصفها.

كما تتسم هذه اللغة بقدر من الغرابة (غرابة الألفاظ) بالنسبة للقارئ المعاصر، وهو ما يعكس الفجوة الزمنية والثقافية بين النص وسياقه الأصلي. غير أن هذه الغرابة ليست عائقاً دلالياً، بل تمثل جزءاً من البنية الجمالية للنص، حيث تُسهم في تعزيز طابعه الأصيل والمرتبط بالواقع الجاهلي (al-Qaysī et al., 1990).

ومن جهة أخرى، تعتمد القصيدة على الإيقاع الداخلي والتكرار بوصفهما عنصرين أساسيين في إنتاج التأثير العاطفي، وهو ما يتقاطع مع ما ذهب إليه Sells (1999) في وصف الشعر العربي القديم بوصفه خطاباً أدائياً يعتمد على التأثير السمعي والانفعالي.

٤,٨ البعد الرمزي: من الشخصية إلى العلامة

تكشف القراءة الرمزية للقصيدة عن شبكة من العلامات التي تتجاوز معناها الظاهري لتؤدي وظائف دلالية أعمق. ففي هذا السياق، يمكن النظر إلى شخصية أم معبد بوصفها علامة (sign) لا تقتصر على كونها شخصية واقعية، بل تتحول إلى رمز للفقد والانقطاع.

ومن هذا المنظور، تعمل القصيدة على إنتاج نظام دلالي قائم على التكثيف الرمزي، حيث تتداخل دلالات المرأة والأخ والقبيلة ضمن إطار موحد يتمحور حول فكرة الفقد. وهذا التداخل يولد ما يمكن تسميته بـ"الوحدة العاطفية الرمزية"، حيث تصبح جميع العناصر تجليات مختلفة لتجربة واحدة.

كما أن صور الحرب والدم والسلاح لا تؤدي وظيفة وصفية فحسب، بل تتحول إلى رموز للاضطراب الوجودي، مما يعزز من عمق التجربة الشعرية. ويؤكد ذلك ما ذهب إليه Sells (1999)من أن الشعر العربي المبكر يعتمد على الرمزية المكثفة لإنتاج المعنى والانفعال في آن واحد.

٤,٩ نحو قراءة تكاملية: البنية بوصفها إنتاجاً للمعنى

من خلال تتبع المحاور السابقة، يتضح أن القصيدة لا تقوم على فصل بين الشكل والمضمون، بل على تداخل عضوي بينهما، حيث تتحول البنية إلى أداة لإنتاج المعنى. فالنسيب يمهد عاطفياً، والحدث يؤسس للصراع، والرثاء يبني القيمة، وصوت الذات يمنح التجربة بعدها الفلسفي، بينما يضفي الثأر بعداً حركياً مستقبلياً.

وعليه، يمكن القول إن القصيدة تمثل نموذجاً لما يمكن تسميته بالبنية الديناميكية، حيث يتشكل المعنى من خلال حركة النص بين مستوياته المختلفة. وهذا ما يجعلها نصاً مفتوحاً على قراءات متعددة، تجمع بين التحليل البنيوي والتأويل الثقافي.

٤,١٠ البنية السيميائية للقصيدة: نحو قراءة بيرسية

يمكن إعادة قراءة قصيدة دريد بن الصمة ضمن أفق سيميائي يتجاوز حدود التحليل الوصفي التقليدي، وذلك من خلال استحضار التصور الثلاثي للعلامة كما بلوره Charles Sanders Peirce، القائم على التمييز بين الأيقونة(Icon) ، والمؤشر(Index) ، والرمز(Symbol) ، وهو التصنيف الذي شكّل أحد الأسس المركزية في النظرية السيميائية الحديثة .(Peirce, 1931–1958) ويتيح هذا الإطار النظري مقاربة النص بوصفه نظاماً دلالياً معقداً، لا يكتفي بإنتاج المعنى على مستوى مباشر، بل ينفتح على طبقات تأويلية متعددة تتداخل فيها العلاقة بين اللغة والتجربة والثقافة.

في ضوء هذا التصور، تتبدّى القصيدة بوصفها فضاءً تتجاور فيه أنماط مختلفة من العلامات، حيث لا تعمل العناصر اللغوية بشكل منفصل، بل تتفاعل ضمن شبكة دلالية متماسكة. فعلى مستوى الأيقونة، تستند القصيدة إلى حضور كثيف للصور الحسية المرتبطة بعالم الحرب، من طعنٍ وضربٍ وسفك دماء، حيث تقوم العلاقة بين الدال والمدلول على مبدأ المشابهة. إن هذه الصور لا تنقل الحدث فحسب، بل تعيد إنتاجه تخييلياً، بحيث يتحول النص إلى محاكاة فنية للواقع القتالي، وهو ما يمنح البنية الشعرية بعداً تمثيلياً يعزز من قوة التأثير والانفعال، وهو ما يتقاطع مع فهم الشعر الجاهلي بوصفه تمثيلاً رمزياً للتجربة الحياتية.(Stetkevych, 1993)

أما على مستوى المؤشر، فتتجلى العلامات التي تقوم على علاقة سببية أو واقعية، مثل الإشارة إلى الجراح، وصيحات الاستغاثة، ونداء الأخ في لحظة الاحتضار. وهذه العناصر لا تكتفي بوصف الحدث، بل تحيل إلى حالات نفسية قائمة، إذ تعمل بوصفها مؤشرات دالة على الألم، والانكسار، والإحساس العميق بالفقد. ومن هنا، يتجاوز المؤشر وظيفته الإخبارية ليصبح وسيطاً بين التجربة الحسية والتجربة الشعورية، حيث يكشف عن البعد الداخلي للحدث الخارجي، وهو ما ينسجم مع الطابع الأدائي والانفعالي للشعر العربي المبكر.(Sells, 1999)

وفي مستوى أعمق، يبرز الرمز بوصفه النمط الأكثر تجريداً وتعقيداً، إذ تكتسب بعض العناصر معناها من خلال انتمائها إلى النسق الثقافي للمجتمع الجاهلي. فالثأر، والقبيلة، وشخصية أم معبد، كلها علامات لا يمكن فهمها إلا في إطارها الثقافي، حيث تتحول إلى تمثيلات للقيم الجمعية، مثل الشرف، والولاء، والذاكرة القبلية. وفي هذا السياق، لا تعود هذه العناصر مجرد مكونات سردية، بل تصبح حوامل لمعانٍ ثقافية متراكمة، تتجاوز حدود النص إلى فضاء أوسع من الدلالة الحضارية، وهو ما تؤكده الدراسات الحديثة التي ترى القصيدة الجاهلية نظاماً رمزياً مرتبطاً بالبنية الطقسية والثقافية.(Stetkevych, 1993)

وبناءً على ذلك، يتضح أن القصيدة لا تشتغل على مستوى لغوي أحادي، بل تقوم على نظام علاماتي مركب تتداخل فيه الأيقونة والمؤشر والرمز ضمن بنية ديناميكية واحدة. وهذا التداخل لا يؤدي إلى تعدد المعنى فحسب، بل يفضي إلى إنتاج معنى متعدد الطبقات، حيث يتشكل الفهم من خلال الانتقال المستمر بين المستويات الحسية والنفسية والثقافية. ومن ثم، يمكن القول إن القصيدة تمثل نموذجاً دقيقاً لما يمكن تسميته بـ"الاقتصاد السيميائي"، حيث تتكامل العلامات المختلفة في بناء دلالة كلية تتجاوز مجموع أجزائها، وتؤسس لتجربة شعرية عميقة تتقاطع فيها اللغة مع الوجود.

٤,١١ القراءة الريفاتيرية: من البنية السطحية إلى الدلالة العميقة

إذا كانت المقاربة السيميائية البيرسية قد كشفت عن تعددية أنماط العلامة داخل النص، فإن استحضار تصور Michael Riffaterre يتيح الانتقال من تحليل البنية العلاماتية إلى تفكيك آليات إنتاج المعنى في مستواه العميق. فالنص الشعري، وفق هذا المنظور، لا يُقرأ قراءة مباشرة، بل يخضع لمسار تأويلي مزدوج يقوم على التمييز بين القراءة الاستدلالية (Heuristic Reading) والقراءة التأويلية (Hermeneutic Reading) ، وهو ما يسمح بالكشف عن الفجوة بين المعنى الظاهر والبنية الدلالية الكامنة.(Riffaterre, 1978)

في مستوى القراءة الاستدلالية، تبدو قصيدة دريد بن الصمة نصاً يندرج ضمن تقاليد الرثاء الجاهلي، حيث تتتابع عناصره وفق منطق سردي مألوف، يجمع بين الاستهلال العاطفي والحدث والرثاء. وتُفهم هذه البنية، في ظاهرها، بوصفها تعبيراً مباشراً عن تجربة فقد شخصية، تُترجم إلى خطاب شعري يجمع بين الوصف والانفعال. غير أن هذه القراءة، على الرغم من مشروعيتها، تظل محدودة بحدود الدلالة السطحية، ولا تنفذ إلى البنية العميقة للنص.

أما القراءة التأويلية، فتتجاوز هذا المستوى من خلال البحث عن ما يسميه ريفاتير بالمصفوفة الدلالية(Matrix) ، أي البنية المركزية التي تنتظم حولها جميع العلامات النصية .(Riffaterre, 1978) وفي هذا الإطار، يمكن تحديد "الفقد" بوصفه المصفوفة الأساسية التي تحكم بناء القصيدة، حيث تتكرر بصيغ متعددة تشمل الفقد العاطفي في النسيب، والفقد الاجتماعي في الحدث، والفقد الوجودي في صوت الذات. ويعزز هذا التكرار ما يُعرف بـ"الهيبوغرام(Hypogram) "، وهو البنية الضمنية التي توجه إنتاج المعنى دون أن تظهر بشكل مباشر في النص.

وتنسجم هذه القراءة مع التصورات الحديثة التي ترى أن الشعر الجاهلي لا يُفهم من خلال معناه المباشر، بل من خلال شبكة من العلاقات الرمزية والثقافية التي تمنحه عمقه الدلالي (Stetkevych, 1993).

ومن ثم، تتحول القصيدة من مجرد رثاء فردي إلى خطاب رمزي يعيد تمثيل تجربة الفقد بوصفها تجربة إنسانية كلية.

٤,١٢ التحليل التطبيقي للنص: قراءة سيميائية تأويلية (Close Reading)

لإبراز فاعلية التكامل بين المقاربة السيميائية والتأويلية، يمكن الوقوف عند بعض الأبيات المفصلية في قصيدة دريد بن الصمة، بوصفها نقاط تكثيف دلالي تتقاطع فيها البنية العلاماتية مع البنية التأويلية، بحيث لا يُقرأ البيت بوصفه وحدة مستقلة، بل بوصفه جزءاً من نظام دلالي كلي (Riffaterre, 1978; Sells, 1999).

يُعدّ البيت:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت
غويت وإن ترشد غزية أرشد

مثالاً واضحاً على هذا التداخل. ففي القراءة السطحية، يعكس البيت مبدأ الولاء القبلي، وهو أحد القيم المركزية في المجتمع الجاهلي. غير أن القراءة السيميائية تكشف عن تعددية في مستويات الدلالة؛ إذ يمكن اعتباره مؤشراً (Index) على حالة اجتماعية قائمة تتمثل في خضوع الفرد للجماعة، كما يرتقي إلى مستوى الرمز (Symbol) بوصفه تمثيلاً لبنية ثقافية قائمة على اندماج الفرد في الكيان القبلي.(Peirce, 1931–1958)

أما في ضوء القراءة الريفاتيرية، فإن هذا البيت يتجاوز معناه الظاهر ليصبح تجلياً لبنية دلالية أعمق، حيث يعكس ما يمكن تسميته بـ"الانصهار القسري في الجماعة"، وهو أحد الأبعاد المكونة لمصفوفة الفقد، إذ يسهم هذا الخضوع في إنتاج المأساة ذاتها .(Riffaterre, 1978) ومن ثم، يتحول البيت من تعبير أخلاقي إلى مؤشر على بنية ثقافية مأزومة.

وفي موضع آخر، يقول الشاعر:

دعاني أخي والخيل بيني وبينه
فلما دعاني لم يجدني بقعدد

تتجلى في هذا البيت صورة حركية–سمعية مكثفة، حيث يتداخل نداء الأخ مع حركة الخيل، مما يخلق توتراً زمنياً يعكس لحظة حرجة بين الحياة والموت. وعلى المستوى الأيقوني(Icon) ، تحاكي الصورة مشهداً واقعياً من ساحة المعركة، بينما تعمل، في بعدها المؤشري(Index) ، على الدلالة

على العجز الإنساني أمام الزمن والقدر .(Peirce, 1931–1958) أما تأويلياً، فإن هذا "التأخر" في الاستجابة يتحول إلى رمز للانقطاع، مما يعزز حضور الهيبوغرام المرتبط بالفقد (Riffaterre, 1978).

كما تتجلى الذروة التأويلية في قول الشاعر:

وهوّن وجدي أنني لم أقل له
كذبت ولم أبخل بما ملكت يدي

حيث ينتقل الخطاب من الوصف الخارجي إلى التأمل الداخلي. فعلى المستوى السيميائي، يمثل هذا التعبير مؤشراً (Index) على حالة نفسية قائمة تتمثل في الشعور بالذنب ومحاولة التخفيف منه. أما في القراءة التأويلية، فإنه يعكس محاولة إعادة بناء الماضي لتخفيف وطأة الفقد، وهو ما يمثل انتقالاً من الرثاء إلى الوعي الوجودي.(Sells, 1999)

ومن خلال هذه القراءة التطبيقية، يتضح أن أبيات القصيدة لا تعمل بوصفها وحدات لغوية منفصلة، بل بوصفها عقداً دلالية داخل شبكة متماسكة، حيث تتولد المعاني من خلال التفاعل بين العلامة والتأويل. وبذلك، تؤكد القصيدة قدرتها على تحويل التجربة الفردية إلى نظام رمزي معقد، تتداخل فيه اللغة مع الثقافة، والتجربة مع الوجود.

٥ .النتائج والمناقشة

تكشف هذه الدراسة، في ضوء المقاربة السيميائية والتأويلية، أن رثائية دريد بن الصمة لا يمكن اختزالها في كونها نصاً رثائياً تقليدياً، بل تمثل بنية دلالية مركبة تتشكل من تفاعل مستويات متعددة من العلامات والمعاني. فقد أظهرت النتائج أن القصيدة تقوم على نظام سيميائي ثلاثي الأبعاد، تتداخل فيه الأيقونة والمؤشر والرمز وفق تصورCharles Sanders Peirce ، بحيث لا

يعمل أي مستوى بمعزل عن الآخر، بل تتكامل هذه المستويات في إنتاج معنى ديناميكي ومتعدد الطبقات.(Peirce, 1931–1958)

كما بينت الدراسة، من خلال توظيف منهج Michael Riffaterre، أن القصيدة تنتظم حول مصفوفة دلالية مركزية تتمثل في "الفقد"، الذي لا يقتصر على البعد الشخصي، بل يمتد ليشمل أبعاداً اجتماعية ووجودية. ويظهر هذا الفقد في أشكال متعددة، منها الفقد العاطفي في النسيب، والفقد الجماعي في الحدث، والفقد الداخلي في صوت الذات، مما يعكس بنية دلالية متكررة تؤسس لما يمكن تسميته بالهيبوغرام الضمني. (Riffaterre, 1978)

ومن ناحية أخرى، كشفت القراءة التطبيقية أن الأبيات الشعرية تعمل بوصفها عقداً دلالية داخل شبكة مترابطة، حيث يتحول المعنى من المستوى المباشر إلى المستوى الرمزي من خلال آليات التكرار والتحويل والانزياح. ويتجلى ذلك بوضوح في انتقال الدلالة من وصف الحدث إلى تأويله، ومن التعبير عن الحزن إلى إعادة بنائه ضمن أفق ثقافي أوسع (Sells, 1999; Stetkevych, 1993).

وعليه، فإن أهم ما تخلص إليه الدراسة هو أن القصيدة لا تعكس تجربة فردية فحسب، بل تعيد إنتاج النظام القيمي للمجتمع الجاهلي، من خلال تحويل الفقد إلى خطاب رمزي يربط بين الفرد والجماعة، وبين اللغة والثقافة، ضمن بنية شعرية ديناميكية.

٦ .الخاتمة

تخلص هذه الدراسة إلى أن قصيدة دريد بن الصمة تمثل نموذجاً متقدماً في الشعر الجاهلي، حيث تتجاوز حدود التعبير الرثائي المباشر لتشكل نظاماً دلالياً معقداً يجمع بين البنية الشعرية والتجربة الوجودية. وقد أظهرت المقاربة السيميائية أن النص يقوم على تفاعل ثلاثي بين الأيقونة والمؤشر والرمز، مما يمنحه قدرة على إنتاج معنى متعدد المستويات، يتجاوز حدود الدلالة السطحية.

كما كشفت المقاربة التأويلية أن القصيدة تنتظم حول مركز دلالي خفي يتمثل في "الفقد"، الذي يشكل البنية العميقة للنص، ويوجه مسار تأويله. ومن ثم، فإن المعنى في هذه القصيدة لا يُعطى بشكل مباشر، بل يُبنى تدريجياً من خلال التفاعل بين العلامات والسياقات الثقافية.

وتؤكد هذه النتائج أن القصيدة الجاهلية لا يمكن قراءتها بوصفها نصوصاً وصفية أو تاريخية فحسب، بل بوصفها أنظمة رمزية تعكس رؤية الإنسان للعالم، وتعيد تشكيل التجربة الإنسانية في قالب لغوي وجمالي معقد. وبذلك، تسهم هذه الدراسة في إعادة تأطير فهم الشعر الجاهلي ضمن أفق نقدي حديث، يربط بين التراث والنظرية، وبين النص والتأويل.

٧ .آفاق البحث المستقبلي

تفتح هذه الدراسة آفاقاً متعددة للبحث في مجال الشعر العربي الكلاسيكي، خصوصاً في ضوء التكامل بين المقاربات السيميائية والتأويلية. ومن أبرز هذه المسارات:

أولاً، توسيع تطبيق النموذج السيميائي المستند إلى Charles Sanders Peirce ليشمل نصوصاً أخرى من الشعر الجاهلي، بما يسمح ببناء تصور أوسع حول نظام العلامات في هذا التراث الشعري.

ثانياً، تعميق توظيف منهج Michael Riffaterre من خلال دراسة البنى الخفية (Matrix & Hypogram) في نصوص مختلفة، للكشف عن آليات إنتاج المعنى في الشعر العربي القديم.

ثالثاً، إجراء دراسات مقارنة بين الرثاء الجاهلي ونظائره في ثقافات أخرى، بهدف الكشف عن الأبعاد الكونية لتجربة الفقد، وإبراز خصوصية المعالجة العربية ضمن هذا السياق.

وأخيراً، يمكن توظيف مقاربات نقدية معاصرة أخرى، مثل السيميائيات الثقافية أو النقد التداولي، لتعميق فهم العلاقة بين النص الشعري وسياقه الثقافي، بما يسهم في تطوير الدراسات الأدبية العربية وربطها بالاتجاهات النقدية العالمية.

المراجع :

Abū al-Faraj al-Iṣfahānī, ʿAlī ibn al-Ḥusayn. (2008). al-Aghānī. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

al-Bustānī, B. M. (2008). Dāliyat Durayd ibn al-Ṣimmah: Dirāsah uslūbiyyah. Majallat Ādāb al-Rāfidīn, (55), 1–29.

al-Qaysī, Nūrī Ḥammūdī, al-Jādir, Maḥmūd ʿAbd Allāh, & al-Ḥadīthī, Bahjat ʿAbd al-Ghafūr. (1990). Nuṣūṣ min al-shiʿr al-ʿArabī qabla al-Islām: Dirāsah wa taḥlīl. Baghdād: Wizārat al-Taʿlīm al-ʿĀlī wa al-Baḥth al-ʿIlmī, Jāmiʿat Baghdād.

Braun, V., & Clarke, V. (2006). Using thematic analysis in psychology. Qualitative Research in Psychology, 3(2), 77–101. https://doi.org/10.1191/1478088706qp063oa

Creswell, J. W. (2014). Research design: Qualitative, quantitative, and mixed methods approaches (4th ed.). Thousand Oaks, CA: SAGE Publications.

Durayd ibn al-Ṣimmah al-Jushamī. (2004). Dīwān Durayd ibn al-Ṣimmah (taḥqīq ʿUmar ʿAbd al-Rasūl). al-Qāhirah: Dār al-Maʿārif.

Ibn Qutaybah, ʿAbd Allāh ibn Muslim. (1952). al-Shiʿr wa al-shuʿarāʾ. al-Qāhirah: Dār al-Maʿārif.

Ibn Rashīq al-Qayrawānī, al-Ḥasan ibn Rashīq. (1981). al-ʿUmdah fī maḥāsin al-shiʿr wa ādābih (Vol. 2). Bayrūt: Dār al-Jīl.

Ibn Sallām al-Jumaḥī, Muḥammad ibn Sallām. (2001). Ṭabaqāt fuḥūl al-shuʿarāʾ. al-Qāhirah: Dār al-Ḥadīth.

Peirce, C. S. (1931–1958). Collected Papers of Charles Sanders Peirce (Vols. 1–8). Cambridge, MA: Harvard University Press.

Riffaterre, M. (1978). Semiotics of poetry. Bloomington: Indiana University Press.

Sells, M. A. (1999). Desert tracings: Six classic Arabian odes. Middletown, CT: Wesleyan University Press.

Stetkevych, S. P. (1993). The mute immortals speak: Pre-Islamic poetry and the poetics of ritual. Ithaca, NY: Cornell University Press.